كلمة

هذه الدراسات كانت مدخلى إلى تراثنا الأدبى العربى المزدحم بالكنوز ، وأنا على صلة بهذا التراث منذ شبابى المبكر ، لكنى كنت أكثر اتصالا بجانبه الشعرى وقتئذ ، حيث كنت أحلم بأن أنصرف إلى كتابة الشعر ، وإن كنت قد اطلعت فى ذلك الوقت على كتب مثل كليلة ودمنة ، والمكافأة وحسن العقبى ، وبعض القصص الشعبى مثل ألف ليلة وليلة ، فلم تكن كتابة القصة أيضاً بعيدة عن أحلامى . فلما أُتيح لى أن ادرس الفلسفة بالجامعة تبين لى جانب هام آخر فى هذا التراث ، فقرأت قراءة منظمة تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ولكنى فى الوقت نفسه اكتشفت الفلسفة الغربية ، وكان عودى قد إشتد فى لغةأولغتين أجنبيتين فأقبلت على قراءة الفكر الغربى : فلسفته وأدبه ، حتى خشيت ذات يوم أن تقع غربة بينى وبين تراثنا العربى ، كما أثار انتباهى أن كثيراً من شبابنا ممن لهم محاولات أدبية بعيدون كل البعد عن جذورهم فى الفكر العربى ، وإنه ربما كان السبب فى ذلك ظنهم أنهم لن يجدوا فى هذا التراث إلا أفكاراً لا صلة لها بعصرنا مكتوبة بلغة بعيدة عن أفهامهم ، فأردت أن أكشف لهم – ولنفسى قبلهم – جوانب هذا التراث الإنسانية ، وكيف أنه تناول أرق الموضوعات بأرق لغة ، وأن الفكر الإنسانى – ومن بينه التراث العربى – ليس إلا سلسلة متصلة الحلقات ، كل حلقة منها مهدت لما يتلوها ، واكتشفت – فيما اكتشفت – أن فى هذا التراث محاولات مبكرة عبقرية لما يعرف اليوم بعلم النفس ، فهو وثيق الصلة بما نتداوله اليوم من شئون هذا العلم .

وحين جمعت هذه الفصول بين دفتى هذا الكتاب وجدت أنى كنت بين منهجين :

منهج الدراسة ، ومنهج التقديم ، ففى الوقت الذى كنت أحاول فيه أن أقوم بدراسة ما أعرض له من موضوعات ، كنت أحرص أن أقدم للقارئ أفكار من أعرض لهم بأسلوبهم حتى يستطيع أن يكون رأياً له عن هذا التراث بطريق مباشر دون كبير تدخل ، وحتى يدرك أنه ليس جافاً على النحو الذى يتوهمه ، وحتى يدرك طواعية اللغة العربية للتعبير عن أدق الخلجات النفسية ، وأن ما يقال عن قصورها ليس إلا قصوراً من متكلميها فى التعرف عليها والألفة بمفرداتها وتراكيبها .

ثمة سبب آخر لتجاور منهج التقديم مع منهج الدراسة ، وذلك أن كثيراً من أدبائنا سبق أن أشاروا إلى ما تعرضت له من موضوعات فى هذا الكتاب – كما هو واضح مما رجعت إليه من مراجع – لكن دون أن يفردوا له المؤلفات التى تجعل القارئ على معرفة سابقة بمادة كافية يمكنه أن يتابع على أساسها أية محاولات دراسية لهذا كان على أن أقوم بالمهمتين مهمة تقديم المادة ، ومهمة دراستها .

يرتبط بذلك سبب ثالث ، هو عدم وجود فهارس بموضوعات تراثنا العربى ، وأن المسألة ما تزال متروكة لاجتهاد الباحثين ولئن كان بروكلمان قد قام بمجهوده المشكور فى وضع فهارس لمؤلفى العربية ومؤلفاتهم فإننا ننتظر أن تقوم هيئة عربية بوضع فهرس بالموضوعات التى تناولها التراث ولعل وجود دائرة معارف عربية يكون خطوة نحو هذا الفهرس حيث يمكن إثبات مراجع كل مادة من مواده . لهذا فإن الدارسين يقومون حالياً بمهمة مزدوجة ، مهمة جمع المادة والتعـــرف عليها والتعريف بها ، ثم مهمة دراستها وفى كثير من الأحيان لا يتيسر ذلك لعقلية واحدة فيغلب عليها أحد الطابعين ، وحتى إذا توفر ذلك لعقلية واحدة فإنها تكون مشتتة بين جمع المادة من مظانها ودراستها .

وبعد ، فالكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام أولها دراسة الحب فى التراث النثرى العربى تناولت فيه عدداً من المؤلفات التى اقتصرت على تناول هذا الموضوع فى الفكر

العربى ، دون أن أعرض للناحية الفلسفية أو الصوفية منه ، فقد تناولها أكثر من مؤلف قبلى . كما أنى اهتممت بجانب النثر دون جانب الشعر لأنى أعتقد أن الجانب النثرى لم يلق الاهتمام الواجب ، بينما جانب الشعر قد احتفى به الكثيرون فيما يعرف بدراسة الغزل فى الشعر العربى أما القسم الثانى فيتناول الصداقة فى تراثنا العربى ، وأخيراً عرضت عرضاً سريعاً لأهم الآراء المعاصرة فى موضوع الحب والزواج والطلاق ، فالفكر الإنسانى فكر مترابط متكامل ، والفكر العربى أحد روافده التى غذته وتغذية . وقد حاولت أن أوضح هذا – كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً – فى بعض فصول القسم الأول من الكتاب ، بينما لم يتضح ذلك فى القسم الثالث ، لأن ما به من فصول وإن نشرت فى نهاية الكتاب إلا أنها من أوائل ما كتب ، بل إن البدء بها هو الذى أغرانى بالبحث عن مقابلها فى التراث العربى فيما بعد .

وقد سبق أن نشرت فى عام ١٩٦٦ كتابى « دراسات فى الحب » ، والكتاب الحالى يشمل ما سبق نشره فى ذلك الكتاب بعد إدخال كثير من الإضافات والباب الثالث كله .

وأخيراً فإنى أرجو أن يحقق الكتاب ما رجوته له .

أولًا أن يجمع بين الاهتمام بتراثنا الثقافى والاتجاهات الفكرية المعاصرة ، فليس الاهتمام بالتراث قرين التخلف الفكرى كما يعتقد البعض ، وليس الإيمان بالاتجاهات الفكرية المعاصرة معناه إنكار هذا التراث كما يتوجس البعض الآخر .

كما آمل أيضاً أن يحقق هذا الكتاب ما أرجوه له من الجمع بين الجد والطرافة كما يدل عليه عنوانه ، فهو « دراسات » ولكن « فى الحب والصداقة » .

obeikandl.com

الكفاح من أجل الحبّ

نحن نخطئ حين نظن أن مجرد الرغبة فى الحصول على الآخر يمكن أن نسميها باسم الحب إن اللحظة التى فيها تستيقظ أرواحنا لنحس بحاجتنا إلى إنسان آخر يشاركنا كفاحاً واحداً فى الحياة ، هى اللحظة التى نتهيأ فيها للحب لكن بين مجرد هذا التهيؤ وبين الحب خطوات لا بد لها من الكفاح حتى نقطعها كاملة وناجحة .

فمن هذه الغربة التى تقف بين كل شخصين يتلاقيان فى الحياة حتى اللحظة التى يلتصق فيها جسداهما معاً ، توجد خطوات ليست طويلة ولا شاقة بالقدر الذى نتوهمه ، لكنها تحتاج إلى كفاح وإلى حذر وإلى لباقة ، وإلا ضاعت منا كل جهودنا فى اللحظة الأخيرة .

فنحن حين نلتقى بشخص ما ، ويكون لدينا هذا التهيؤ الطبعى المقدس للحب ، ونحس أننا نريد الحصول عليه ، ندرك تماماً أننا لا بد أن نجعله هو الآخر يريد الحصول علينا ومن أجل هذا يبدأ كفاحنا والحصول المتبادل هنا هو الذى يفرق بين الحب والحالات الأخرى التى تتدرج ما بين شراء المرأة (كما كان يحدث فى مجتمع القبيلة وكما لا يزال يحدث حتى اليوم – أو ربما شراء الرجل) وهذه العاطفة المتأججة الحزينة الناتجة عن إحساس دائم بالتهيؤ لحب شخص لا نحصل عليه .

ونحن حين نلتقى بهذا الشخص ، قد ندرك فى وضوح ضرورة وجود هذا الحصول المتبادل ، وهو إدراك قد يكون من النظرة الأولى وقد يكون بعد سلسلة طويلة من العلاقة والممارسة ، لكننا ندرك أيضاً أننا لا يمكن أن ندفق عليه مشاعرنا وعواطفنا مرة واحدة وفى أية لحظة ، بل لا بد من الانتظار والصبر ، ثم الاستمرار والإصرار . . .

ونحن نبذل هذا الجهد من أجل أن ترتفع الغشاوة أولا بيننا وبين الآخر ، هذه

الغشاوة التى هى مجموعة من التقاليد ومن الماضى الخفى الممتد حتى الطفولة ، ومن الآمال والأحلام التى يملكها كل شخص بحكم انفراده وعزلته ونحن ننزع هذه الغشاوة فى رقة ولباقة حتى لا نصطدم بما يمكن أن يقف عقبة فى سبيل الوحدة التى نهدف إليها ولهذا فنحن نعد أنفسنا لكافة الاحتمالات ونوقن من أول الأمر أننا سنبلغ ما نريد .

ونحن نجيد التوهم حين نتخيل أن العالم والغرباء يستطيعون أن يشاركونا أفراحنا ومآسينا ، وعندما نتخيل أن إنساناً واحداً رقيقاً ولطيفاً جداً سيستمع إلى أناتنا ونحن نضع رأسنا المهموم فى حضنه الحى الخافق الدافئ لكن إلى أى حد يصمد هذا التوهم ؟

علينا أن ندرك أولا فى وضوح أن الآخرين يشبهوننا ، ولذا فهم يتمنون – مثلما نتمنى – إنساناً يحمل عنهم بعض ما بهم ونحن ندرك هذا حين نرى إنساناً يأتى مطمئنا إلينا واثقاً فينا شاكياً لنا وطأة تثقله ، لكننا لا نرحب كثيراً بهذه اللحظات ، بل نحن نبحث عمن يكون المعجزة فى حياتنا ، عن ذلك الساحر الإلهى الذى سيشفى أمراضنا بلمسة أو بسمة ونهيئ دائماً أنفسنا لمجيئه ، حيث نجد فى هذا التوقع تعزية وسلوانا .

وفى تقاليد هذا المجتمع الذى نعيش فيه أن للرجل فرصة أوسع مما للمرأة ، فله أن يحصل على من يريد تبعاً لقيمة وتقديراته وعواطفه ، فهى لا « تختار » إلاّ فى دائرة من يختارونها (ولو أن هناك بطبيعة الحال حالات لا تخضع للسياق العام) ولا شك أن المرأة تحس بنوع من الغبطة الخفية كلما بدا لرجل أن يريدها ، حتى ولو لم تكن هى لتفضله أو تقبله فى حياتها ، يكفيه أنه جعلها مرغوبة ومحبوبة ، أما الرجل فإن سروره العميق يبدأ بعد ذلك حين تعبر له المرأة عن تجاوب عواطفها مع عواطفه .

لكن الأمور لا تسير سهلة ، إن المرأة تريد أن تستوثق أولاً هل هو يريدها حقاً ؟ لماذا تراه وقف فى حياته عندها دون غيرها . . بينما الرجل يكون قد تطلع إليها

يريدها أن تعوضه عما فقده فى الحياة ، وهو يتساءل : لماذا تراها قبلتنى فى حياتها ؟ هل لأننى الوحيد الذى عبرت لها عن مشاعرى ؟ أم لأننى ذو مال أم لى بعض الذكاء أم بعض الشهرة ؟ وكل هذه الأسباب لا تطمئن الرجل الذى يريد الجواب أن يكون تبلورا لهذا جميعه فيصير : لأنها تحبنى .

لكن كثرة الفتيات فى هذا المجتمع يتحركن وقد أحسسن على أنفسهن وطأة ثقيلة من التقاليد والعادات يرضين بها وترهقهن محاولة انتزاعها أو الثورة عليها . والمجتمع لا يكون على صورة قالب خارجى فحسب نرتديه كلما تعاملنا مع الناس ، بل هو يتغلغل إلى أعماق الفرد فيمتزج بها ، لهذا فإن الجرأة تبدأ من الداخل على شرط أن تنتقل أخيراً إلى الخارج . فنى عالم الحلم نستطيع أن نثور على الواقع كيفما شئنا ، والشخص الإيجابى هو وحده الذى يعبر من مرحلة الحلم الثورى إلى مرحلة الفعل الثورى .

إننا نريد المرأة التى لا تشاركنا حياتنا فحسب ، فهذا مجال ، رغم جماله ، إلا أنه مجد أنانى ، إننا نريد المرأة التى تشارك فى البناء الحضارى ، حيث لم تساهم فى ذلك حتى الآن إلاّ بنصيب ضئيل . ونحن لا نستطيع حقًّا أن نتجاهل تلك المهمة التى قامت بها الأنثى وحدها خلال التاريخ ، مهمة الحمل وما يستتبعه الحمل من الرضاعة ، تلك المهمة التى ربطتها بالطبيعة وجعلتها تعانى تجربة ما يمكن لرجل أن يحياها . لكن هذه المهمة تكاد تكون متصلة باستمرار الكيان النوعى أكثر مما هى متصلة بصميم البناء الحضارى ، لهذا وجدنا أن محاولة المرأة المشاركة فى البناء الحضارى تسير جنباً إلى جنب ، مع محاولة التخفف شيئاً فشيئاً من هذه المهمة التى لم تشغل الرجل يوماً ما ، مما أتاح له أن يتفرغ لمساهمات أكثر صلة بجوهر البناء الحضارى . وحقاً كانت الفرص — ولا تزال رغم ما حصلن عليه — فرصاً قليلة . ومع ذلك فنحن نأمل أن نحصل على نساء يشاركننا فى استيعابنا للحضارة والمساهمة فى حركتها العامة . وهى تساعدنا على ذلك

بما تهيئه لنا من لحظات جميلة وجو عاطفى يؤكد لنا فى كل لحظة جمال الإنسانية وخصوبتها ، ثم بجهدها الشخصى فى مشاركتها للتراث الحضارى ، فنحن هنا لا نريد الحصول على مجرد الجسد ، فهذا ما لا يحتاج إلى كفاح ولا إلى خطوات . وهذا قد يشبع لذة الجسد ، لكن الروح ستعود حزينة ، إننا نريد هنا أن تبلغ الأنانية قمتها فتحصل على الروح والجسد معاً .

والناس لا يعيشون فى مستوى روحى واحد ، هناك من يعيشون فى المستوى الحسى أو المستوى الاجتماعى ، فلا ينظرون للأشياء والحركات والعلاقات ولا يقيمونها إلا من خلال ما تقدمه لهم من ملاذ حسية أو من تقدير اجتماعى . وهناك من يعبرون هذه المستويات لأن لهم قيمهم العقلية التى يتشبثون بها . وهؤلاء يرون أن محاولتنا الحضارية هى أن يحتل الفهم العقلى أكبر مساحة ممكنة فى مجال الحركة الإنسانية ، وأن يطارد التشبث باللامعقول حتى أبعد الحدود . ومع ذلك فإن العلاقة العقلية التى تقوم بين اثنين لا يمكن أن تبرر لهما ذلك الامتزاج المجنون الذى يربط كلاً منهما بالآخر حتى الموت . إنهما يأملان أن يعبرا من مرحلة هذا الفهم النسبى القائم على العقل إلى الحركة العاطفية القائمة على الإيمان . وهكذا يتسرب اللامعقول مرة أخرى من خلال المعقول ، والمطلق من خلال النسبى . وبدخول الإيمان فى العلاقة بين الشخصين تسقط الحركة الإرادية عنهما ، وهكذا فإن ما يبدو أنهما فعلاه بمحض اختيارهما فى أول الأمر ، لا يستطيعان الخلاص منه إذا هما حاولا ذلك من جديد . وهناك أشخاص لا يقدرون خطورة هذه اللحظة الحاسمة فى تاريخهم ، والتى توضع جنباً إلى جنب مع ولادة الفرد وموته ، فيقطعون فى الشوط خطوات ، ثم يبدو لهم أن يتراجعوا . . . وقد تبلغ بهم المحاولة اليائسة أن يقطعوا علاقاتهم بالآخر فيبدو للعالم كله أنه لم تعد ثمة صلة قائمة ، ومع ذلك فهم يدركون فى قرارة نفوسهم أنهم يخدعون العالم والآخر وأنفسهم ، لأن مصيرهم قد ارتبط به إن حباً وإن كرهاً .

وإذن فى هذا الكفاح تساعدنا طبائعنا بجانب عظيم . فليس كل شىء يتم إراديا كما نحسب أول الأمر ، بل إن أغلب ما يحدث يكاد أن يتم تلقائياً بعد الدفعة الأولى ، يعيننا على ذلك ما فى نفوسنا من تهيؤ للحب ورغبة فى الآخر ، ثم الرعاية الدقيقة لكل ما يحدث . فنحن نبدأ نتوهم أولا أن الأمر يجب أن يخرج من دائرة الاختيار إلى دائرة الضرورة ، فلم نعد نستطيع أن نختار هذا دون ذاك ، بل ليس أمامنا إلاّ هذا الإنسان ، فقط هذا الإنسان . وبهذا نسد أمامنا كل إمكانية للتراجع ، ونفعل ما فعله طارق لجيوشه حين أحرق الأسطول الذى حملهم فأصبح البحر وراءهم ، ولم يكن بد من أن يتقدموا ، ولو أننا لا نحب أن نشبه الحب بالغزو كما يحلو لبعض المفكرين الهمجيين . لكن الانتقال من الاختيار إلى الضرورة يستتبعه حتماً سلسلة من اللوازم . فإلى جانب سقوط الحركة الإرادية ، نجد أن الغربة التى بيننا وبين من نحب قد سقطت فحوينا ماضيه وحاضره ومستقبله ، بينما نحاول نحن من جانبنا أن نجعله يحوى كذلك ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا . فمن أهم « القواعد » هنا أن يسير الاثنان خطوة خطوة ، والويل لمن يسبق أحدهما الآخر . فإذا حدث أن بلغ أحدهما اللحظة التى فيها يتوهم أن الآخر على استعداد لأن يعطيه نفسه ، بينما يكون هذا الآخر لم يكد يبدأ أولى خطواته ، فإن تصرفات الواحد لن تكون معقولة ولا مستساغة لدى الآخر ، مما يعجل بانفصالهما المحزن المهول .

ونحن لا نستطيع أن نتقدم إلى الآخر ونقول له : أرجوك أن تحبنى . فحين يخرج الصياد الماهر – على حد تشبيه د.هـ. لورنس فى قصته الثعلب – لصيد غزال ما فإنه حين يراه لا يقول له : أرجوك أن تقع صريع رصاصتى . فحين يسمع الغزال هذه الكلمات يعدو بعيداً بعيداً . بل إن الصياد يختار الوقت الملائم ، ويخرج فى الصباح ، فى الفجر ، متسللا فى خفة وحذر ، وبجهد ، من أجل أن يحصل على الغزال أخيراً . وهذا هو ما ندعوه باسم الكفاح من أجل الحب .

ونحن حين نكافح من أجل الحصول المتبادل ، نجد أننا نميز شيئاً فشيئاً ذلك الإنسان الذى أحببناه ، ونحاول إقناعه بأننا نتميز عن الآخرين أيضاً . . . بل نحن نكون كذلك حقاً فى اللحظة التى يكون فيها هو أمامنا بل فى اللحظة التى تمر بنا صورته . ويحاول كل منا أن يدرك العلاقة التى بيننا على نحو متميز مقدس رائع غريب ومفرح وحزين . وهكذا نكافح معاً من أجل أن تنسج خيوط الشبكة الحريرية حولنا ، شيئاً فشيئاً . . . حتى تجدنا ذات يوم عريانين تماماً ، الواحد أمام الآخر ، بلا خجل ولا خطيئة .

إن الصداقة ، والعلاقات العائلية ، والصلات الفكرية ، كلها – فيما عدا الأمومة – تكون بمقدار ، وكلها لا تستطيع أن تزيل آخر ركن من أركان الأنانية فى نفوسنا . وفى كل هذه العلاقات نحس بوجودنا واضحاً ، ونحرص دائماً على ألا نُلْغى ، ونعطى بقدر ما نأخذ ، ونأخذ بقدر ما نعطى . لهذا يظل الإحساس بالتكتل واضحاً ، ولا نستطيع تحطيمه كى تنتشر انتشاراً تاماً فى هؤلاء الآخرين . أما الحب ، فهو يثور على هذا الوعى المستمر للعلاقات التى لا تريد أن تندفع إلا بمقدار . ويهتز وجودك فى عنف وأنت تنتشر فى الآخر ، وتصبح أنت فى الآخر وهو فيك بحق ، ويحس كل منا أن الآخر جزء منه متحرك فى العالم الخارجى . وتلك هى المرة التى فيها يشعر الإنسان أن تكتله قد امتد فشمل آخر ، بحيث يبدو لهما أن العالم يواجههما معاً . إن الحب يقوم فى نهايته على الإيمان ، وما لم أومن بالإنسان الآخر فأنا لم أحبه بعد .

وليست العلاقة الاجتماعية هدفاً على الإطلاق ، بل هى لون من ألوان العلاقة قد نقصد إليها يوماً كى نرفع عنها فكرة العبث من أذهان الآخرين ، ولو أننا نعرف فيما بيننا أن الحب هو وحده الذى يرفع العبث عن كل علاقة تقوم بين الجنسين . فقد تقدم امرأة شفتيها لرجل لا تحبه ، وأخرى قد تقدم جسدها لرجل تحبه ، والفرق بين

المرأتين أن الأولى عابثة ساقطة والأخرى مخلصة جادة . وهكذا يقرر الحب أخلاقية العلاقة أمام صاحبيها ، ويقرر الزواج أخلاقية العلاقة أمام الآخرين .

وموقف التردد بين الزواج وعدم الزواج ، ذلك الموقف الذى عبر عنه كيركجورد وارتفع به فى نطاق روحى شامل لا سيما فى كتابه « إما وإما » هو – حتى اليوم – موقف الرجل . أما مجال التردد لدى المرأة فهو مقتصر على تفضيلها هذا الرجل عن ذاك . وهذا وضع طبيعى للأمور كما هى الآن . فموقف الرضا أو الرفض من الزواج نفسه هو موقف الجنس الذى بيده الدور الإيجابى ، أما المرأة التى ليست لها حتى اليوم إلا النصيب السلبى ، فهى لا تفكر فى التردد حيث إن الزواج هو الدليل الوحيد أمام المجتمع على أهليتها للحب أو على أهلية أنوثتها بوجه عام ، بينما هو لا يفسر على هذا النحو لدى الرجل . ولئن كانت مشكلة الوحدة هى الحاجة إلى الحب ، فإن مشكلة الوجود مع الآخر هى ضرورة الحب ، وهكذا بين الوحدة والعلاقة بالآخر تستحيل الحاجة إلى ضرورة .

وهنا نلمح فارقاً جوهرياً فى الموقف الروحى لكل من المسيحية والإسلام ، ففى المسيحية عليك أن تريد أولا وتختار ، فإذا تم الزواج فقد انتقلت من دائرة الإرادة والاختيار إلى دائرة الضرورة إذ لا مجال للانفصال ، أما فى الإسلام فبالزواج يبدأ الدور الحقيقى للإرادة والاختيار ، وهذا هو المعنى الروحى لإباحة الطلاق فى الإسلام ، فالمعرفة الحقة هنا لا تتم إلا بالزواج ، فوجود الطلاق كإمكانية فى الزواج الإسلامى يعنى أن استمرار الزواج هو فى كل لحظة هنا استمرار متصل لحركة إرادية فى ارتباطك بالإنسان الآخر . ومع أننا لسنا بسبيل المفاضلة بين الموقفين ، إلا أننا نستطيع أن نلخص الموقفين فى صورتيهما المطلقتين بقولنا : إنه بحصول الزواج فى المسيحية يبطل دور الإرادة والاختبار ، وبحصول الزواج فى الإسلام يبدأ الدور الحقيقى للإرادة والاختيار ، وبين هذين الموقفين يقف الناس وتقف الشرائع الحديثة على أبعاد مختلفة ، فهم مسيحيون أو هم مسلمون بقدر ما يرجحون أحد الموقفين على الآخر .

ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، فالحب – كالحياة – ليس هدفاً نبلغه وننتهى عنده ، كلا بل هو ممارسة مستمرة وحياة وكفاح من أجل الاحتفاظ بما حصلنا عليه من قبل ، ومن أجل ما يمكن أن نحصل عليه فى المستقبل . ففى الألفة ثمة خطر مضاعف عن كل ما كان من شأنه أن يحطم كفاحنا من قبل . وما أفظع هزيمة المنتصر ، ذلك الذى لا يجيد فن الاحتفاظ بعد الحصول . فإذا فتر كفاحنا الروحى فى فترة ما ولسبب ما ، فإننا سنخسر كل شىء ، وتصبح محاولة التخلص من الحب ، والكفاح من أجل التخلص من الحب مهمة أشق تكاد تكون مستحيلة التحقيق . ذلك لأن كفاحنا من أجل الحب – مهما كان حذرا ولبقا – فإنه لا يتحفظ – ولا يمكنه أن يتحفظ – ليوم فيه قد يتراجع . وبكارة العاطفة يجب أن ندرك ثروتها وإلا قامرنا بها فى غير وعى فى تجربة واحدة قاسية مفزعة مسيطرة ، فنخرج وقد أفلسنا من الإيمان والتحمس والتفاؤل لكى نحيا فى نوع من العربدة اليائسة المحطمة أو التحرك البليد المستسلم .

إن الحب ليس هبة تهبط علينا من السماء ، بل هو جهد جميل نتطور به من أجل أن نقترب الاقتراب الذى به يصبح كل منا ضرورة للآخر ، وهو ليس علاقة مجردة ، بل هو هذه اللحظة أو تلك بما حوته من كلمات وأفعال ، بل حتى بمجرد صمتها الرائع .